الفصل الثالث
عودة الى الحياة

١- أسطورة حسن :

وفى بورسعيد تعرفت على ثلاث أصدقاء من القاهرة ، وكنا نسكن فى شقة أنيقة فى الحى التجارى هناك ، لا نرغب أن يشاركنا أحد فى السكن وخصوصا من أبناء المحافظات الأخرى ، وهذا للإختلاف والتباين فى طريقة التفكير وإسلوب الحياة .. وليس الأمر بالمقارنة أو المفاضلة ، ولكنه فقط الاختلاف ، وكما يقولون الطيور على أشكالها تقع ..

وفى يوم كنت أقف مع أحد الأصدقاء بعد إنتهاء المحاضرات فى حين جاءنا صديقنا (مصطفى) برفقته شاب ضخم الجثة (هيلمان) كما يسمونه ، قلما تصادف أن ترى مثل هذا العملاق فى حياتك ، فالبنسبة لى كان هذا النموذج هو الوحيد الذى حظيت بمشاهدته حتى الأن ..

هذا (حسن) .. هكذا قدمه لنا صديقنا (مصطفى) وإستطرد قائلا .. حسن زميل يكبرنا بدفعة وهو فى مشكلة ، فقد طرده أصدقاءه الأندال من السكن شر طردة فعند عودته من أجازته وجدهم قد غيروا كالون الباب وتركوا له رسالة يخبروه بعدم رغبتهم فى أن يسكن معهم .. وهو الأن لا يجد سكن ويستسمحنا فى أن

نستضيفه لبعض الوقت حتى يتدبر أمره ويجد سكن مع أحد المجموعات الأخرى، ولن يطيل علينا لعلمه بعدم رغبتنا فى أن ينضم إلينا وافد جديد ..

وأثناء حديث (مصطفى) لم تطرف عينى وأنا أنظر إلى (حسن) ، هذا الكائن العملاق ، قائلا فى نفسى .. سبحان من سخر هذا (الهيلمان) وجعله طوعا حتى يتجرء عليه شرذمة من الأقذام ! .. وما أن إنتهى صديقنا مصطفى من شرح ظروف حسن حتى كدنا أنا وصديقى أحمد أن نحتضن حسن ..
أقصد بعضا من حسن متأثرين لما لاقاه من أصدقاءه الأندال ..

وبالفعل إصطحبنا (حسن) معنا إلى السكن ، وبدأنا فى إعداد الطعام فقد أصبحنا بارعين فى هذا الأمر أو ربما كنا نرى أنفسنا كذلك ، وذلك بعد باع طويل وصولات وجولات فى المطبخ يطول سردها .. وأذكر منها أن أول مرة لى فى المطبخ قمت بغسل المعكرونة بناءا على توجيهات من صديقى البرم
(أحمد) ، والذى حصل على دروس فى الطبخ من والدته قبل مجيئه ..
حينها تداخلت حبات المعكرونة وإمتزجت مع بعضها لتصبح كتلة واحدة صلبة ، وأيقنا أنها لم تعد تصلح طعاما للدواب فضلا عن الإنسان ، فألقينا بها فى سلة القمامة ، وقررنا طبخ بعض الأرز عوضا عن المعكرونة ، فتلقيت حينها توجيه وتحذير شديد اللهجة من نفس الصديق البرم .. ألا أقم بغسل الأرز حتى لا يلقى

مصير المعكرونة ، مرددا فى ثقة أثقلتها الخبرة والتجربة أنه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، لينتهى الأمر بإلقاء الأرز فى نفس سلة القمامة مع المكرونة ..

وكنا فى رمضان حين قمنا بأستضافة الأخ حسن ..
(حسن) .. << مينفعش تقعد بالمنظر ده >> !! .. قلتها وأنا أنظر فى دهشة للأخ حسن الذى خرج علينا من الغرفة حرفيا (بالفانيلة واللباس) !! ..
بينما صديقاى ظلا صامتان من هول المشهد الذى يصعب وصفه لكم ..

فقال (حسن) .. وما المشكلة فى ذلك فنحن هنا رجال مع بعضنا ؟! ..
فرد عليه صديقى (مصطفى) والذى بلانا بهذا المخلوق قائلا .. (ياحسن) النوافذ مفتوحة وهناك جيران من حولنا فلا يصح أن يروا هذا المنظر !! ..
وبعد حوار طال بيننا وبين الأخ (حسن) إقتنع أخيرا بإرتداء السروال وظل بالفانيلة لعدم قدرته على تحمل الحر !! ..

وما أن بدأنا فى تناول الإفطار حتى تفاجأنا (بحسن) يأكل كما تأكل الوحوش فى البرية ، وكأنه آخر زاد له فى الدنيا ، وسرعان ما نفذ الطعام الذى طالما فاض قبل ذلك ومازلنا جوعى وكذلك الأخ (حسن) .. وفى اليوم الثانى قمنا بزيادة كمية الطعام ليتكرر نفس الأمر حيث نفذ الطعام ومازلنا جوعى وكذلك الأخ (حسن) ، فإقترح صديقنا (أحمد) فى ضيق أن نطلب من (حسن) المشاركة في تكلفة الطعام

فإن المخزون الذى لدينا لن يصمد طويلا بهذا الشكل ، فإعترض صديقنا (مصطفى) قائلا .. عيب عليك يا أخى فانه ضيفنا ونحن فى رمضان ألا تستحى ؟!

فتدخلت بدورى لأحسم الخلاف بينهما بإقتراح حيلة تمكننا من مجارات الأخ (حسن) ، حيث أنه لم يعد بإمكاننا زيادة كمية الطعام حسب الإمكانيات المتاحة لدينا .. وكانت الحيلة هى أن نخفى جميع الملاعق الكبيرة مدعين عدم إيجادها ونبقى على ثلاث ملاعق فقط ، بحيث يمسك كل منا بواحدة تاركين
له ملعقة الشاى الصغيرة ، وبهذا تتوازن المعادلة بيننا وبين الأخ (حسن) ..

وما أن وضعنا الطعام ووضعنا ملعقة الشاى الصغيرة أمام (حسن) حتى فطن لحيلتنا الساذجة تلك .. وإذا به يجنح على الطعام بكلتا زراعيه ليحتضنه منقضا عليه بلهفة غريبة مقرفة ، حتى أنه لم يجرؤ أحدنا أن يقرب حينها الطعام ولا (حسن) ، وكدنا أن نبكى حينها جواعا وقهرا ..

ولكن مهلا فاليوم يوم سعدنا ، فصديقنا العزيز (عمرو) عائدا إلينا من عند (أمه) حاملا معه البشرى والفرج ، طعاما حقيقيا طازجا .. فقد جرت العادة بيننا أنه فى حين عودة أحدنا من أجازته (من عند أمه) يأتى للبقية البائسة بهذا المدد ..

نزل صديقنا (أحمد) للبحث عن أى طعام يشتريه لنا فنحن لم نحظى بفطورنا بعد ولن نحتمل الانتظار لحين عودة صديقنا (عمرو) فى وقت متأخر فقد كدنا نموت جوعا ، ولم يمضى على نزوله سوى القليل حين سمعنا صوت صديقنا

(أحمد) صارخا وكأنه فى عراك مع أحدهم ، فأسرعنا إلى الشرفة المطلة على الشارع حيث مصدر الصوت ، فكان كما توقعنا ، شجار بين صديقنا وبين شاب من الباعة فى أحد محلات الحى التجارى .. والعراك فى بورسعيد على العموم لا يتعدى كونه شخص يقف متفوها بسيل من السباب واللعنات بلكنته الممطوطة تلك ، تماما كما صورها فيلم (أبو العربى) ، وشخص على الجانب الآخر يفعل المثل ، وبينهما خلق كثير ذو أصوات عالية وصاخبة وممطوطة أيضا لا تفهم من كثرتها وتداخلها وعلوها شئ ، وهؤلاء بالطبع هم ولاد الحلال المتطوعين لفض النزال ، أما عن صديقنا (أحمد) الفتى القاهرى المدلل ابن الناس فقد إقتصر رد فعله وسط كل هذا الصخب على قول وترديد كلمة << أهو إنت ... أهو إنت >>

فأسرعنا نتسابق على درجات السلم ننهبها نهبا لإدراك صديقنا والوقوف بجانبه ، فإندمجنا بدورنا وسط كل هذا الصخب والزحم ، إلى أن حدث أمر جلل أربك الجميع ..... لقد غضب (حسن) ..

كان عملاقا يشق طريقه وسط جمع من الأقذام ، دافعا كل عائق فى طريقه دفعا عن يمينه وعن شماله ، إلى أن أحكم قبضته على هذا الشاب الصارخ والذى إبتلع حينها لسانه ليعم الهدوء والإرتباك والترقب المكان ..

<< متموتوش ياحسن حرام عليك هتودينا فى داهية >> ..

قالها (أحمد) وهو متعلق بزراع (حسن) ، بينما وقف (مصطفى) محاولا فى ذعر أن يجعل من نفسه حائلا بين الفتى المذعور بدوره و (حسن) ، أما أنا فقد كنت واقفا خلف (حسن) يشغل تفكيرى وخاطرى شئ آخر ، فقد كنت أتساءل فى نفسى كيف لإنسان أن يزداد حجمه بهذا الشكل عند الغضب ؟! ..

وبعد أن أفقت من حالة الإندهاش التى تملكتنى مستدركا خطورة الموقف ، توجهت إلى (حسن) ممسكا بزراعة الآخر قائلا له بعفوية لا يخالطها التوتر والإرتباك .. (حسن) دعك من هذا وتعال نبحث عن طعام نشتريه فنكاد نموت جوعا يا أخى .. وبالفعل أخذت أعصاب (حسن) المشدودة فى الإرتخاء وأفلت الشاب من قبضته المحكمة ، وسار معى حيث كنت أعرض عليه إقتراحات ما يمكن أن نشتريه من طعام .. فكان الطعام هو الشفرة الوحيدة الصالحة لإمتصاص غضب (حسن) والسيطرة عليه ، فلربما كانت غضبته من الأساس سببها أنه وبعد أن إلتهم فطورنا بالكامل وكاد أن يلتهمنا معه مازال يشعر أنه جائعا !!! ..

وأخيرا وصل صديقنا العزيز الغالى عمرو فى وقت متأخر من الليل ، ليجدنا فى إستقباله بالترحاب والتهليل والإشتياق بشكل مبالغ فيه وعلى غير العادة ، مما أربكه وجعله يظن فينا الظنون ، فربما دبرنا له أمرا أو مكيدة ما ..

- << ها .. جبتلنا معاك إيه ؟ >> ..... << إستنوا عليا شوية لما آخد نفسى >>
- << تاخد نفسك إيه .. فين الأكل ؟ >> ..
- << أصبر يابنى إنت وهو شوية .. هو إنتم فى مجاعة ! .. أمى بعتتلكم معايا ديك أد كده يستاهل بؤكم >> ..

ولم يكمل صديقنا (عمرو) والذى لم يعد عزيزا علينا بعدها كلامه وإذا بالأخ (حسن) واقفا عند باب الغرفة ممسكا فى يده (بديك أم عمرو) قائلا ..
متى ستأكلون هذا الشئ فأنا أتضور جوعا ؟ ..

ولم يزد على هذا الكلام كلمة واحدة حيث خرج من الغرفة وفى يده (ديك أم عمرو) .. ليسود الغرفة بعدها صمت دام للحظات قبل أن يقطعه صديقنا الغير عزيز علينا بالمرة (عمرو) متسائلا فى دهشة ..
<< هو إيه ده ؟! >> .. فأجبته قائلا .. << ده حسن وديك أمك راح >> ..

وهنا إرتمى صديقاى (أحمد) و (مصطفى) على الأرض من فرط الضحك الهستيرى المخلوط بالأسى والبكاء ، بينما ظل (عمرو) فى إندهاشه وعدم إدراكه .. وفى حين إفتراس الأخ (حسن) (لديك أم عمرو) كنا قد قصصنا على (عمرو) القصص ليهب واقفا من مكانه وبعجرفة إعتدناها منه قائلا..

<< الكلام ده ماينفعنيش ، أنا محدش أخد رأيى ، وأنا مش موافق إن حد يقعد معانا أصلا ، أنا خارج أتكلم معاه ، إنتم ماتعرفنيش أنا بجح ومبتكسفش >> ..

وحقا لا أعرف متى وكيف إعتبرنا (حسن) نمازحه ، ليقوم بجذب (عمرو) والذى لم يمضى على معرفته به سوى بضع دقائق معدودات من قدمه ليسحله على الأرض ، مصدرا ضحكات لا يمكن أن يتخيل صدورها إلا من (هيلمان) كهذا ، ثم حمل صديقى (مصطفى) وألقاه كدمية على كنبة الأنتريه ..

ولا أعلم كيف ومتى بدأنا نحن أيضا فى الضحك الهستيرى ، حيث إنقض صديقى (أحمد) ليقفز على كتف (حسن) ممسكا برقبته ، بينما إنقضضت أنا بدورى ممسكا بقدم ومحاولا إسقاطه أرضا ، ولكن هيهات هيهات فكيف لهذا (الهيلمان) العملاق أن يسقط ، فهو غير قابل للشد والجذب .. وقد أصبح من الحكمة أن ننفد بجلودنا قبل فوات الأوان ..

فإنطلقنا فارين نحو أقرب غرفة ، يتقدمنا صديقنا (عمرو) المتاكل (ديك أمه) << واللي مانعرفهوش البجح إللي مبيتكسفش >> .. لنغلق على أنفسنا الباب ، بينما أخذ (حسن) يحاول فتح الباب قائلا ..

<< يعنى مش هتخرجوا من عندكم ؟ >> .. << هاااه هاااه هاااه >> ..

وبعد أن إلتقطنا أنفاسنا قال (عمرو) المتاكل (ديك أمه)

<< واللى مانعرفهوش .. وإلخ >> متسائلا .. << وهنعمل إيه فى المصيبة ده ؟ >> .. فتكلمت بدورى قائلا.. أولا نحن مخطئون من البداية لأننا تبعنا شاب متهور متأثرا بفقدانه (لديك أمه) .. بينما كان الحل سهل وبسيط ، وكان أمام أعيننا طيلة الوقت ولم نفطن له !! .. فقال (عمرو) متهكما .. وما هو الحل يافريد عصرك ؟! .. فأجبته قائلا .. ببساطة نفعل مافعله أصدقائه الأندال ..

فقاطعنى هذه المرة صديقى (مصطفى) بعفوية ومشاعر صادقة قائلا ..

لا تقل عليهم أندال فقد اتضح أنهم ضحايا مثلنا ..

فأردفت قائلا.. إن الضحايا الأندال قاموا بتغيير كالون الباب ، ولحسن حظنا أننا لم نعطى (حسن) مفتاحا للشقة من الأساس .. لذلك وبكل بساطة لن نفتح الباب (لحسن) .. فرحب الجميع بهذا الحل وعلى رأسهم صديقنا (مصطفى) الذى جلب إلينا (حسن) من البداية ..

وهاهو الأخ (حسن) واقفا خلف باب الشقة وتحت قدمه حقيبته التى قمنا بوضعها سلفا أمام الباب .. حيث أخذ فى طرق الباب بعنف ، واضعا يده على جرس الباب مرددا فى غيظ .. << إفتحوا .. أنا أعرف أنكم بالداخل .. إفتحوا>>

وبينما نحن جلوس بالداخل فى صمت تام كما الأموات إذا بصديقنا (عمرو) المتاكل (ديك أمه) << واللى مانعرفهوش ، البجح ، وإللى مبيتكسفش >>
يقطع هذا الصمت هامسا فى حذر شديد .. << تفتكروا ممكن يكسر الباب ؟ >>

<< يانهار إسود >> .. قالها (مصطفى) وهو متوجها ناحية الباب على أطراف أصابعه ليحكم إغلاقه بالترباس .. وبعد إنتهاء الزوبعة ورحيل الأخ (حسن) ، تنهد صديقى (مصطفى) قائلا .. يااااه أنا لا أصدق أننا قد تخلصنا بالفعل من هذا البلاء ..

وبنظرة ماكرة وجهها (أحمد) إلى (عمرو) قائلا .. << أنا مش صعبان عليا فى الموضوع كله غير (ديك أم عمرو) .. ياترى (ياعمرو) هتقول لأمك إيه لو سألتك عن (الديك) ؟ >> ..
فأجابه عمرو متأثرا بجراحه وحزنه على (ديك أمه) قائلا ..
<< هقولها ديكك راح فى الوبا يا أم عمرو >> ..

****

٢- أسطورة رضا :

مضى عام كامل وما زلنا نسكن فى شقتنا الأنيقة تلك فى الحى التجارى ببورسعيد ، حيث لا نرغب أن يشاركنا أحد فى السكن وخصوصا بعد ما لاقيناه من الأخ (حسن) ..

ومن بين أبناء المحافظات ومن إحدى قرى الصعيد النائية ، كان لنا صديق غريب الأطوار بعض الشئ ولكنه كان مقربا إلينا بشكل كبير دونا عن باقى أبناء المحافظات ، إنه صديقنا المحبب الى قلوبنا (رضا) ..

(رضا) شخصية كاريكاتيرية بما تعنيه الكلمة ، يشعرك بأنه أحد شخصيات عالم ديزنى قد ضلت طريقها إلى عالمنا البربرى الموحش عاجزة عن العودة لعالمها من جديد .. فهو شاب شديد النحافة دقيق الملامح ، ذو أنف طويل مدبب ، شعره أصفر وناعم يصففه على أحد الجوانب محدثا على الجانب الآخر فرقا ممتد بطول رأسه ، ودائما ما يكون شعره مبتل ؟! .. بشرته بيضاء أو صفراء يصعب أن تحدد ذلك ، عيونه خضراء لامعة تنطق ببراءة وطفولة لا تناسب عمره بأى حال ، يرتدى العديد من الملابس بعضها فوق بعض صيفا أو شتاء على حد سواء ، وبرغم ذلك فإن كثرة الملابس لا تخفى من نحافته شيئا .. ويرتدى سروال يرفعه إلى منتصف

بطنه .. فحين تنظر إليه لا تستطيع أن تخفى إبتسامتك إلى أن يختفى من أمام عيناك مهما كانت حالتك المزاجية سيئة ..

لذلك ف (رضا) كان مصدر بهجة بالنسبة لنا ، كنا نحب رؤيته وكذلك هو ، فقد كان كثير الزيارات لنا فى مسكننا ويحب مجالستنا عن أبناء محافظته لما يستشعره معنا من مودة لا يراها من الأخرين ..

وصلت إلى الشقة فى وقت متأخر كالعادة عائدا من أجازة طويلة بعض الشئ ، وحينها لم أجد أحدا من الأصدقاء فى الشقة ، فربما قد خرجوا يتسكعون فى شوارع الحى التجارى كعادتهم ، فقمت بوضع أغراضى وألقيت جسدى على السرير لأريح ظهرى قليلا من عناء الطريق ، وغفوت لدقائق معدودة قبل أن أقوم من مكانى فزعا على صوت ذلك الجرس المزعج ، وصوت الطرقات المتواصلة على الباب ، وقد كان هذا السلوك السمج من عادة أصدقائى حين عودتهم من الخارج ، فتوجهت إلى الباب مسرعا وقد استشط غضبا وأخذت أدندن ببعض السباب واللعنات ، فهؤلاء الحمقى سوف يتسببون لنا حتما فى مزيد من المشاكل مع الجيران بسبب هذا التصرف الأحمق ..

فتحت الباب فدخل ثلاثتهم مندفعين من الخارج تتعالى أصواتهم بالضحك والمزاح ، قال أحدهم .. << ألم أقل لكم أنه قد (شرف بسلامته) >> ..

وقال الأخر .. << لقد فاتك الكثير اليوم ، فقد كان يوما حافلا مليئ بالمصائب>>
بينما توجه الثالث إلى المطبخ وكان يحمل فى يده كيس بلاستيك فيه بعض الأشياء التى إبتاعوها من الخارج على ما يبدو ، حيث قال ..
<< لقد وضعناك فى الحسبان ، وسواءا أكلت معنا أم لم تأكل سوف تدفع ثمن ما قد إبتعناه لك على أى حال >> ..

فتركتهم دون أن أتفوه بكلمة واحدة من شدة غضبى وحنقى عليهم ، وعدت لأستلقى على السرير مرة أخرى ، وما أن أغمضت عينى حتى فتحتها من جديد فزعا على صوت ذلك الجرس المزعج وصوت طرقات الباب المتواصلة ، فقمت أتلفت من حولى فلم أجد أحد ، فأسرعت لأفتح الباب وإذا بثلاثتهم يدخلون مندفعين من الخارج تتعالى أصواتهم بالضحك والمزاح .. وما كان منهم إلا ماكان منذ لحظات دون زيادة أو نقصان ، حتى توجه إلي أحدهم بعد إنتهاء العرض مستفسرا عن حالة الإندهاش والتثمر التى رآنى عليها ! ..
فقلت له .. لا شئ فقط كان مجرد حلم وقد فزعت من ضجيجكم كالعادة ..

الأمر كان مختلفا عن كل مرة ، فقد إعتدت أن أشعر بتكرار الأحداث من حولى ، ولكن عادة ما يكون هذا الشعور أثناء وقوع الحدث نفسه .. أما أن شاهدت الحدث قبل وقوعه بلحظات ، وبكل هذا التفصيل والدقة ! .. فهذا أمر عجيب ومفزع بعض الشئ ..

وفى يوم مللنا فيه كل شئ من حولنا ، إقترح أحد الأصدقاء أن نقوم بزياة (رضا) فى مسكنه ، وعلى الفور رحبنا جميعا بهذا الاقتراح ، فوحدها رؤية (رضا) قادرة على كسر هذا الملل وإعادة البهجة إلى نفوسنا .. طرقنا الباب ففتح لنا أحد المقيمين في السكن ، وما أن رحب بقدومنا وأدخلنا حتى تصادف ذلك مع خروج أحد الشباب المقيمين من غرفة (رضا) صارخا وكأن أحدهم قد إرتكب فى حقه أمر جلل .. خرج حاملا فى يده حقيبة ملابسه وفى اليد الأخرى غطاء نومه مرددا .. << والله مأنا نايم معاه فى أوضة واحدة .. والله ولو هنام على الأرض أو أسيب الشقة والله.. إلخ >> ..

وهنا ظهر (رضا) عند باب الغرفة بسرواله الذى يعلو إلى ما بعد منتصف بطنه ، وبنظرته الطفولية البريئة المندهشة دائما وكالعادة ، ليفجر فى أعماقنا بهجة كنا فى حاجة ماسة إليها ، وترتسم على وجوهنا إبتسامة نظيفة لم نستطع إخفائها رغم هذا الجو المشحون المليئ بالتوتر والصراخ والإحتجاجات ..

فاتجهنا ناحية صديقنا المحبوب إلى قلوبنا (رضا) متسائلين ! ..

- << إنت عملت فى الواد إيه يارضا ؟! >> ..

- << والله ماعملتله حاجة ! >> ..

- << ياواد إطلع من دول ، قولى بصراحة (يارضا) إنت بترفث وإنت نايم ؟ >>

- << والله أبدا ! >> ..

- << والله أبدا إزاى.. دا الواد خارج من الأوضة مسروع وكأن ثعبان قرصه !>>
- << يووووووه >> ..

أمضينا بعض الوقت مع صديقنا (رضا) ولم يطل مكوثنا لتوتر الأجواء هناك فانصرفنا غير مدركين كيف يكون كل هذا التوتر سببه (رضا) ؟! ..
وفى طريقنا للعودة وأثناء حديثنا عن نوادر (رضا) قال صديقنا (مصطفى) ..
<< والله (رضا) صعبان عليا يقعد مع العيال دول .. هيبهدلوه .. ايه رأيكم نجيبه يسكن معنا >> .. هنا صرخ (عمرو) فى وجهه قائلا ..
<< إنت تانى يابتاع حسن الغلبان ! .. ياراجل حرام عليك دا أنا لسة (ديك أمى) ناره مبردتش !!! >> .. فانفجر جميعنا بالضحك حين تذكرنا ما كان من الأخ (حسن) مع (ديك أم عمرو) ..

وفى يوم من الأيام قام (رضا) بزيارتنا فى مسكننا وفى صحبته شخص مريب ، غريب أطوار آخر .. ولكنه من نوع مختلف تماما غير (رضا) ..
فكان شاب متوسط الطول ، بشرته بيضاء شاحبة ليس فيها دموية أو حياة ، تشبه بشرة مصاصى الدماء فى أفلام هوليود ، عيناه زرقاء باردة منطفئ نورها وكأنها ميتة بالفعل ، شعره أصفر قصير ومجعد ، ملابسة مماثلة للملابس الأوروبية الكلاسيكية فى فصل الشتاء ، حيث يرتدى معطف أو بالطو شتوى طويل أنيق .. وبإختصار إنه شاب أنيق ، مريب ، غريب الأطوار ، لا تظهر على ملامحه أى تعبيرات تشعرك بأنه

حى يرزق .. وقد عاش عمره كله فى الجزائر مع والده ، ورجع إلى مصر ليلتحق بالجامعة هنا ..

وبعد أن تعارفنا عليه .. تجاذبنا معه أطراف الحديث ، حتى تطرق الحديث إلى نوعية مريبة وغريبة من المواضيع التى أثارها هو وبدون داعى !!! ..
لقد أخذ يتحدث عن الله والشيطان ، وأخذ يبرر ويدافع عن الشيطان !!! ..
فقد كان الفتى وكأنه يتحدث بلسان الشيطان نفسه ! ..
فترائ لنا أنه أحد عبدة الشيطان هؤلاء ، فقد كانوا منتشرين فى هذه الأونة بشكل مخيف .. فكان الصمت والتوتر يسودان المكان ، حيث آثر أصدقائي الصمت التام موجهين أبصارهم بترقب إلى الفتى أثناء تحدثه ..
بينما أخذت أنا دور المحاور الذى يرد عليه كل مغالطة وإدعاء وفرية يتفوه بها على سبيل (وجادلهم بالتى هى أحسن) ..

وبدون مقدمات قطع صديقنا عمرو الحوار لينهى الحديث بلهجة خشنة قاسية ، آمرا الفتى بمغادرة المكان فى الحال ، فلا رغبة لنا فى مجالسته ، وقد بات غير مرحب بوجوده معنا ..
فقام الفتى من مكانه بهدوء وبرود قاتل ومريب .. ودون أن تظهر على قسمات وجهه أى تعابير توحى بالغضب أو الخجل أو الإهانة أو أى شيئ يذكر ..

وبدون أى كلمة غادر المكان فى حين كانت تراقبه أبصارنا بشئ من الريبة والتوجس ، فكنا نراى وكأن هالة شيطانية تحيط به !!! ..

إلى أن قفز وفط ونط (رضا) من مكانه ليفجر فى نفوسنا بهجة كعادته أو كعادتنا معه ، ويرسم على وجوهنا إبتسامة أزالت أجواء التوتر والعصبية التى كانت تسيطر على المكان منذ لحظات ، فتوجهت أبصارنا بتلقائية ناحية
(رضا) الذى إتجه بدوره ناحية الباب مستشيط غضبا ..
- << إنت رايح فين يارضا ؟! >> ..
- << رايح فين إيه ؟ >> ..
- << تعالى بس أقولك يا أخى >> ..
- << لأ كفاية اللى عملتوه .. شكرا أوى .. شكرا شكرا شكرا >> ..

مضت الأيام ووقع حادث جلل فى الحى التجارى وتحديدا فى محيط العقار الذى نقتن فيه .. ماس كهربائي نتج عنه حريق هائل نشب فى إحدى البنايات القديمة ، وفى الواقع أن معظم البنايات فى الحى التجارى قديمة وعتيقة ، حيث الأسقف والواجهات مصنوعة من الخشب .. وكان يوما مهيبا ..
فلم أكن أعرف أن للنار صوت تقشعر له الأبدان وتفزع له القلوب والوجدان ، فلك أن تتخيل بناية أو برج ضخم عبارة عن عمود من النار ، وكأنها مارد عملاق

له شهيق وزفير مصدرا صوتا كالصراخ المروع ، يأكل كل ما يعترض طريقه من أخضر ويابس بلا رحمة ولا هوادة ، حيث تنتقل النار من بناية لأخرى منذرة بالويل والخراب للحى التجارى بأكمله ..

فكان الحدث مروعا ومفزعا وقد خلف وراءه من الخسائر ما خلف ، وإنقطعت الكهرباء عن الحى التجارى بكامله لخمسة عشر يوم متصلة ..

غادر أصدقائي بورسعيد بعد الحادث عائدين إلى القاهرة بينما مكثت أنا ليومين بعدهم للضرورة ، وإقترح على أصدقائى قبل المغادرة أن أذهب لأقيم مع (رضا) فى شقته نظرا لإنقطاع الكهرباء عن الحى الذى نقتن فيه بأكمله ، ولكننى رفضت هذا الإقتراح قائلا ..

<< إنتوا إتجننتوا .. (رضا) إيه ده إللى أبات معاه ؟! .. دول بيناموا كل ثلاثة على سرير واحد !!! .. دول مش بنى آدمين أصلا >> ..

فكان الظلام عليا أهون من المبيت فى زريبة (رضا) هذه ..

وكانت خطيتى لقضاء الليل فى هذا الظلام الحالك الذى يمتد مد البصر محدثا جو موحش كئيب ، أنى أشعلت شمعة ، ولحين ذوبان الشمعة وإنطفاء نورها أكون قد غلبنى النعاس ونمت وتنقضى الليلة بسلام .. ولكن لم تسير الأمور كما خطت لها تماما .. أتعلمون مقولة .. (دا بيسمع دبة النملة) .. أظننى كنت أسمع دبة النملة فى هذه الليلة .. فكانت هناك أصوات غريبة ومريبة من حولى (صرير ، وطقطقات، وخرفشة .. وإلخ) إلى أن إنطفأت الشمعة دون أن يذق جفنى طعما للنوم ليلتها !!

وفى الصباح الباكر ذهبت إلى الجامعة حيث قابلت (رضا) الذى سألنى بدوره ..
مابك ؟ .. تبدو شاحب الوجه وتظهر عليك علامات الإرهاق ! ..
فأجبته باسما كعادتى حين رؤيتى له حتى وأنا على هذا الحال المزرى ..
لم أنم ليلتى يا (رضا) ..
فعرض على المبيت معه ، و بالطبع رفضت ، إلا أنه أخبرنى أن الجميع قد غادروا السكن عائدين إلى منازلهم وهو الأن بمفرده فى الشقة ، حينها وافقت ، فقد كنت فى أمس الحاجة إلى النوم ..

وحين وصلنا إلى الشقة وجدتها كعهدى بها ، مكان قذر بكل ما تعنيه الكلمة ، زريبة بشرية تعكس نوعيات وطبائع المقيمين فيها ..
إخترت سريرا فى إحدى الغرف ، لم يكن نظيفا ولكنه كان الأنظف على كل حال ، وقال لى (رضا) متحمسا .. خذ راحتك فأنا بالخارج ، وإن إحتجت لأى شئ ماعليك إلا أن تقول (رضا) ثلاثا .. ستجدى بين يديك فى التو والحال ..
فقلت له باسما والنعاس يصرعنى .. (إطلع برة يارضا) ..

ولم يمضى سوى عشر دقائق بأقل تقدير حتى سمعت باب الغرفة يفتح ، ففتحت عينى فى تثاقل وبقدر ضئيل يمكننى فقط من رؤية من يدخل الغرفة ، وإذا بى أرى مالم يكن فى الحسبان ، إنه ذلك الفتى المريب الذى طردناه من شقتنا شر طردة .. فأى ورطة هذه التى وضعت نفسى بها ، فتظاهرت بالنوم محاولا أن أفوت عليه

فرصة طردى من مسكنه كما فعلنا معه ، فى حين أبقيت عينى مفتوحة بقدر ضئيل جدا كى أتمكن من مراقبته دون أن يلاحظ هو ذلك

فكان منه العجب العجاب .. ظل الفتى واقفا أمامى يرمقنى لبعض الوقت دون أن يتحرك ، ثم إتجه ناحيتى ليجلس بجوارى على السرير لبعض الوقت ..
ثم فعل شيئا غريبا! .. لقد مد أحد أصابعه ووضعه على أنفى ضاغطا عليه بقوة ، ثم إعتصر أذنى بكلتا إصبعيه حتى ألمنى ؟! .. حينها إعتصرت قبضتى وهيأت نفسى للكمه والوثوب عليه ، إلا أنه قام عنى ليقف أمامى لبعض الوقت ..
آثرت حينها أن أتحلى ببعض الصبر لأرى ما وراء هذا المجنون غريب الأطوار .. إلا أنه خرج من الغرفة بنفس البرود الذى غادر به شقتنا ، فقمت جالسا على السرير أفكر فى غرابة الأمر ، وعزمت على أن أخرج وأوسعه ضربا بمجرد أن يفتح فمه ليتفوه بكلمة واحدة .. فخرجت مغتاظا متحفزا ، لأجده جالسا بكل برود على الأريكة بجوار رضا .. ظللت برهة من الوقت واقفا أمامه ولم تطرف عينى وأنا أطالع عيناه التى لا أرى فيهما أي حياة ، وكذلك هو فقد ظل يرمقنى ببروده وملامحه الجامدة الخالية من أى تعابير توحى بأن له مشاعر وأحاسيس كباقى البشر .. ولا أخفيكم سرا أننى فى هذه اللحظات تخلل إلى نفسى بعض القلق والتوتر مما جعلنى أعدل عما كنت أنوى القيام به ، فقد إنتابنى حينها شعور أننى أمام شيطان متجسد فى هيئة بشر ..

فتوجهت إلى باب الشقة مغادرا المكان فى حين لحق بى رضا متسائلا ..
<< إنت رايح فين يابنى هو فيه إيه؟! >> .. فقلت له لا شئ يا (رضا)
فقط لا أشعر بالراحة هنا وسأعود إلى شقتى .. فأصر حينها على مصاحبتى والمبيت معى كى لا أكون بمفردى فى هذا الظلام الدامس الذى يخيم بوحشية على الحى بأكمله فرحبت بهذا العرض .. لعل وجود رضا معى يحدث فارقا وأتمكن من النوم

دخلنا من باب الشقة حيث ظلام يصعب أن ترى فيه كف يدك ، لذا إبتعت شمعة وعلبة كبريت قبل صعودنا إلى الشقة لصعوبة الوصول للشمع والكبريت الموجودين بالفعل فى حجرتى ..

فأشعلت الشمعة وتوجهت بها إلى حجرتى وصحبت معى (رضا) .. وكان بها سريرين نظيفين مريحين ، ومن باب المجاملة والمعاملة بالمثل طلبت من رضا أن يختار أيا من السريرين يرغب فى النوم عليه ، فصعد رضا على أحد السريرين تغمره سعادة بالغة كتلك التى تراها فى أعين الأطفال حين يجلسون على سرير ناعم ونظيف ومريح ، لدرجة أننى كدت أن أنحنى مقبلا جبهة (رضا) .. قائلا له << تصبح على خير ياصغيرى .. أحلام سعيدة >> ..

وبمجرد أن إستلقيت على السرير غط فى نوم عميق .. ولم يمضى من الوقت سوى ساعة تقريبا حتى إستيقظت فزعا على أصوات غريبة متداخلة ومرعبة تجمدت لها الدماء فى عروقى .. كان مصدر تلك الأصوات هو (رضا) !! ..

والذى ترائي لى فى ضوء الشمعة الخافت أن جسمه ينتفض وكأنه يصعق بتيار كهربائي عالى الجهد فى جلسة تعذيب مصدرا كل تلك الأصوات المرعبة ..

- << رضا .. رضا >> ..

- << إيه .. إيه .. فيه إيه ؟ >> ..

- << مابك يارضا ؟! .. هل أنت بخير ؟ >> ..

- << نعم بخير .. ماذا هناك ؟! >> ..

- << وكيف تكون بخير مع كل هذا الذى رأيته منك الأن ؟! ..أخبرنى مابك فقد تملكنى الخوف مما رأيته >> ..

- << بصراحة لقد أصبت بالمس أثناء معالجتي لأحد المسوسين فى بلدتى بالقرآن .. سبعة من الجن تلبسوا بى لينتقموا منى .. وفى كل ليلة يأتونى على هيأة كلاب وثعابين وقطط ليطاردونى ويلحقوا بى الأذى >> ..

- << عظيم يا (رضا) .. فما كان ينقصني غير هذا .. ولماذا عرضت علي المبيت معى فى هذا الظلام الموحش على ما بك من مس وأذى ؟! >> ..

- << أحببت ألا أتركك فى هذا الظلام وحدك >> ..

- << بل كان عليك أن تتركنى وشأني يا (رضا) >> ..

- << وأين أنت ذاهب الآن بهذا الغطاء ؟! >> ..

- << سأمضى ليلتى فى الشرفة .. فخذ راحتك واعتبر المكان لك ولعفاريتك السبع >> ..

جلست على مقعد فى الشرفة حيث الظلام ممتد على مرمى البصر ..
يتخلله ضوء لشمعة هنا وهناك .. وكأنها نجوم على الأرض كتلك التى فى السماء .. فتشابهت الأرض حينها مع السماء .. حيث الظلام الحالك وأضواء خافتة متناثرة هنا وهناك .. شعرت بنسمات هواء باردة .. فالتحفت الغطاء مندثرا بداخله .. وأخذت فى إسترجاع بعض الأحداث المتعلقة (برضا) ..

فاسترجعت فى مخيلتى مشهد هذا الشاب الصارخ الملسوع الذى خرج مستجيرا من غرفة (رضا) !! .. آآآه كم كنت أحمق حينها ! ..
كيف لم أعى ذلك ؟! .. كيف لم أتحقق من الأمر حينها ؟! ..

وأيضا هذا الفتى غريب الأطوار الذى قدمه لنا (رضا) على أنه زميل لنا فى نفس الدفعة بالجامعة !! .. أنا لم أشاهده فى الجامعة يوما ما !! ..
فلم أشاهده سوى مرتين فقط وبرفقة (رضا) !! ..

ثم كيف يعقل لشاب مثل هذا تبدوا عليه علامات الترف أن يسكن هذه الزريبة القذرة !! .. وأيضا ظهوره المفاجئ المريب في هذه الليلة رغم تأكيد (رضا) لى أنه بمفرده فى الشقة ؟! .. أيعقل أن يكون الفتى أحد عفاريت رضا السبع ؟! ..
فنفضت عن نفسى هذا التفكير السخيف ، فلم يعد هناك من أطياف أراها بعد أن وعدني الأشيب بذلك .. ثم أن الجميع رآه وتعامل معه ولم يكن الأمر مقتصرا علي

وأخيرا غلبنى النعاس وغط فى نوم عميق ، مسترخيا على المقعد فى الشرفة المطلة على الحى المظلم ، تداعبنى نسمات الليل الباردة .. إلى أن إستيقظت فزعا على أصوات متداخلة مرعبة ومفزعة ، تجمدت لها الدماء فى عروقى وإشتعل لها شعر رأسى ، بل شعر جسدى كله ، ليهب واقفا منتصبا كأننى قنفذ برى قد إستشعر الخطر .. لقد كان هذا (رضا) .. أقصد (عفاريت رضا) .....
الله يخربيتك يارضا ..

****

٣- علاقة حب :

مضت الأيام ونحن الآن على مشارف امتحانات نهاية العام ، وكانت تواجهنا مشكلة كبيرة مع أحد المواد ، حيث لم تجدى كل محاولتنا فى فهم مسائلها اللوغاريتمية المعقدة ، ولم نجد أيضا من يفهمها لنستعين به فى فهمها ، فالجميع كانوا يعانوا من الأمر ذاته ، ولم يتبقى على موعد الامتحان سوى أسبوع فقط ، فتوجهنا الى أحد المراكز الخارجية التى يقيمها مجموعة من المعيدين لتحسين دخولهم المعدومة التي يتقادونها من الجامعة ، ولكنهم كانوا مبالغين جدا فى سعر المحاضرة الواحدة لهذه المادة ، مستغلين بذلك معانات الطلاب فى فهم هذه المادة ، ولم تكن امكانياتنا تسمح بتحمل هذه التكاليف ، ولم يكن أيضا هناك متسع من الوقت كى يسافر أحدنا لجلب المزيد من المال ، فاقترح أحدنا أن نختار واحدا منا فقط ليحضر هذه المحاضرات ونتشارك جميعا فى التكلفة ، على أن يقوم بشرحها لبقيتنا ، فقال صديقنا

(أحمد) .. << عندى اقتراح وأظنه سيكون الأفضل .. لقد تعرفت على المعيد لهذه المادة ، إنه من القاهرة أيضا ، وعرفت منه أنه نزل للإقامة فى بيت الشباب إلى أن تنتهى فترة الامتحانات ، وقال أنه مستاء جدا من الأجواء هناك ..

فماذا لو عرضنا عليه الاقامة معنا إلى حين إنتهاء مدة الامتحانات على أن يقوم بشرح هذه المادة لنا ؟.. أظنه لن يمانع فى ذلك >> ..

فرحبنا جميعنا بهذا الإقتراح .. ورحب بذلك أيضا المعيد ،وإنتقل للإقامة معنا حيث قام بشرح هذه المادة لنا أثناء اقامته ..

وكان اليوم الأول من الامتحانات حيث ذهبنا باكرا للتعرف على أرقام الجلوس واللجان ، وكانت لجنتى شبيهة بفصول المدرسة تماما من حيث الدكك المتراصة فى أعمدة بطول الفصل .. فجلست على المقعد حيث رقم جلوسى ، ونظرت بجانبى لأرى لمن يكون رقم الجلوس بجوارى على الدكة ، فكان الاسم لفتاة اسمها (هيام) .. إنتابنى شعور قد إعتدت عليه بين الحين والآخر حين وقع نظري على الإسم ، فهناك خطب ما كالعادة أشعر به ولا يمكننى تحديده ..

أشعر أن الأجواء هنا مألوفة لى ، وكأننى كنت هنا من قبل ! ..

فنفضت سريعا هذه الفكرة من مخيلتى فأنا الآن مقبل على امتحان وأحتاج لبعض التركيز ، فلا وقت لدى أضيعه فى هذا الهراء ، فأغمضت عينى قليلا محاولا كبح ذلك الشعور والتخلص منه ، فأحسست حينها بأحدهم يجلس جوارى ، ففتحت عينى دون أن ألتفت إليها وقد بدأ التوتر ينتابنى ، وإزدادت ضربات قلبى .. سحقا .. ما هذا الإحساس الغريب ! .. أشعر بها كأن هناك ما يجزبنى إليها ويربطنى بها ! .. فأغمضت عينى من جديد وعزمت على تجاهل أمرها وعدم النظر والإلتفات إليها ..

قام مراقب اللجنة بتوزيع الأوراق علينا ، وبدأت على الفور فى مطالعة ورقة الأسالة ، حيث تعرفت على جميع الأسئلة ماعدى السؤال الثانى فلم أكن أعرف اجابته ، وللأسف كان سؤالا إجباريا ، لذا خصصت له مكان فى ورقة الإجابة وشرعت فى الاجابة على بقية الاسئلة على أن أعود لهذا السؤال حين أنتهى ، وقبل إنتهاء الوقت المحدد للإمتحان بنصف ساعة سمح المراقب ببعض التجاوزات حين إستشعر حالة الإضطراب والتوتر لدى الطلاب فى اللجنة ،

حينها سمعت صوتها بجانبى تقول .. << السؤال الثانى ؟ >> ..

فأجبتها دون النظر اليها قائلا .. << للأسف لا أعرف إجابته >> ..

فقالت .. << أعرف ذلك .. وهذه هى الاجابة تفضل >> ..

وعرضت أمامى ورقة الإجابة الخاصة بها ! .. وكنت لا أحب مثل هذه الأمور ولم أقم بها فى حياتى من قبل ، ثم إن عدم الإجابة عن سؤال واحد فى الإمتحان لن يكون له تأثير مدمر على النتيجة على أي حال ! ..

فنظرت لها وهممت بشكرها ورفض عرضها ، إلا أن الشعور الذى انتابنى حين نظرت إليها قد أربكنى .. فعدلت عن نيتى وبدأت فى نقل إجابة السؤال من ورقتها دون أن أتفوه بكلمة ، محاولا إخفاء هذا الارتباك عنها ..

وبعد أن قمت بتسليم أوراقى خرجت من اللجنة وكانت قد سبقتنى هى فى الخروج ، وقابلتها عند سلم النزول للمبنى ، فقد كانت فى إنتظارى على ما يبدو ، ولم أجد حينها مفر من التوجه إليها وشكرها على تقديم المساعدة ، وأخبرتها أننى حتما سأرد لها صنيعها فى المرات القادمة ، ثم إستأذنت فى الإنصراف بعد أن بلغ منى التوتر مبلغا لم أعد أستطيع إخفائه وكبحه أكثر من ذلك ..

مستحيل هذا الشعور .. هذه الفتاة أعرفها جيدا وربما أكثر من اللازم ..

ولكن .. متى ؟ .. وأين ؟ .. وكيف ؟ .. حقا لا أدري ! ..

وكانت المادة الثانية هى تلك المادة التى قام المعيد بشرحها لنا ، وقد رسب معظم طلاب الدفعة فى هذه المادة لصعوبتها البالغة ، بينما حصلت أنا وأصدقائى وكذلك تلك الفتاة على تقدير امتياز فى هذه المادة بالذات ..

وذالك لأن صديقنا (المعيد) قد قام بتسريب الإمتحان لنا بالكامل أثناء شرحه دون أن يخبرنا ، وقد تفاجأنا بذلك حين عرضت علينا ورقة الأسئلة ! ..

قابلتها للمرة الثانية عند الدرج فقد كانت فى إنتظارى أيضا على مايبدوا ..

وفي هذه المرة هى من قامت بشكرى حيث قالت ..

- << الأن نحن متعادلان .. صحيح أننى أعطيتك اجابة سؤال واحد وفى المقابل أعطيتنى أنت الإمتحان بكامله دون مبالغة ! .. إلا أن المبدأ واحد >> ..

فقلت ..- << هل لى بسؤال ربما يكون غريبا بعض الشيئ ؟ >> ..

- << تفضل ؟ >> ..

- << هل تقابلنا من قبل ؟ >> ..

- << لا أعتقد .. ولكن لا أعلم لماذا ينتابنى شعور أنى أعرفك جيدا ! >> ..

- << هو شعور متبادل إذا ؟! >> ..

- << أظنه كذلك !! >> ..

ومضت الأيام وقد إعتدنا نتقابل ونتجاذب أطراف الحديث بعد كل إمتحان ، حتى إنتهت الإمتحانات وإنتهى معها العام الدراسى ، وعاد جميعنا إلى منازلنا ..

وفى بداية العام الدراسى الجديد كان أول وجه قابلته فور دخولى الى حرم الجامعة من الوجوه التى أعرفها كان وجهها هى ! .. وكأنها كانت فى انتظارى وتبحث عنى !! ..فعجيب أمر تلك الفتاة !! .. وعجيب شعورى كلما قابلتها !! ..

وعجيب هو ملاحقتها وحصارها لى فى كل مكان أتواجد به داخل الجامعة !! .. فلا يمضى يوم دون أن أراها أمامى تبتسم لى فى دلال فلا أشعر بنفسى إلى وأنا مقبل عليها ! .. لقد إستحوذت علي بالكامل وما عدت أجالس وأسامر غيرها حتى أن الأصدقاء قد إنتقدوا ذلك وإستنكروه علي ..

فى الحقيقة لقد إعتدت عليها ، وإعتدت على مجالستها والحديث إليها ..

فى الحقيقة لقد بدأت أشعر أننى أريدها وليس بوسعى الإستغناء عنها ..

فى الحقيقة أننى أخبرتها أنى أحبها فتورد حينها وجهها خجلا وفرحا ..

فى الحقيقة أنها ملكتنى وأظننى ملكتها ..

٤- التشريفة :

وكما عودتنا الحياة فإن دوام الحال من المحال ، ودائما ما تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن .. لقد تركنا شقتنا الأنيقة تلك لحاجة صاحبها لها ، وكان ذلك فى منتصف العام الدراسي الثانى ، فلم نتمكن من العثور على سكن جديد فى هذا التوقيت المتأخر من العام ، ولم يكن متاحا لنا حينها سوى اللجوء إلى بيت الشباب .. ويقع بيت الشباب ببورسعيد فى موقع متميز جدا ، فهو أمام إستاد بورسعيد حيث لا يفصلنا عن شاطئ البحر سوى بضع أمتار ..

وكان يقبع داخل هذا النزل ذو الموقع المتميز كابوس طالما تحاشينا الإقتراب منه ، إنهم إخواننا من أبناء المحافظات ، وكأن القدر يأبى إلا أن يفتك ببراءتنا ومثاليتنا التى كنا حريصين على المحافظة عليها يوما ما ، معلنا أن الأقدار لا تجرى على هوى أحد ..

وهانحن فى بهو النزل حيث موظف الإستقبال والذى يبدو تماما كما يجب أن يكون عليه أى موظف حكومى محترم يبث الأمل والتفاؤل فى نفوس العملاء ..

- << لو سمحت إحنا محتاجين غرفة لأربع أفراد ..... هو حضرتك مش بترد علينا ليه ؟! >> ..

- << مفيش عندنا غرفة لأربع أفراد >> ..

- << طيب ممكن نعرف إيه المتاح ؟ >> ..

- << فيه المميز .. وده ثلاث سراير فى الغرفة والواحدة .. وده مش متاح حاليا ، وفيه العادى .. وده من ستة إلى إثنى عشر سرير فى الغرفة الواحدة ..

والحجز هنا بيكون بالسرير مش بالغرفة >> ..

- << طيب ممكن حضرتك أربع سراير يكونوا فى غرفة واحدة ؟ >> ..

- << غرفة رقم (١٣) فى الدور الثانى .. ولو فيه حاجة خايفين عليها ممكن تشيلوها هنا فى الأمانات .. الإدارة غير مسؤولة عن أى أغراض تختفى معكم >>

<< بداية مبشرة بالهول >> .. قالها صديقنا (أحمد) ونحن فى طريقنا صعودا متجهين إلى الغرفة السالف ذكرها حيث المجهول فى إنتظارنا ..

كان هناك ممر طويل على جانبيه العديد من أبواب الغرف المتراصة ..

وأثناء سيرنا مررنا بدورات المياه التى كانت تقع فى منتصف الممر تماما ، حيث خرج منها شاب يرتدى ملابس منزليه أنيقة وعصرية ، واضعا على كتفه منشفة تبدو نظيفة .. فنظرت إلى أصدقائى قائلا ..

<< أما هذا فأظنه مبشرا بالخير ، فقد كنت أتوقع أن يخرج علينا أحدهم (بالفانلة واللباس) .. على غرار أخوكم (حسن) >> ..

وهاهى الغرفة رقم (١٣) حيث قام أحد الأصدقاء بطرق الباب إستئذانا للدخول فلم يجب أحد ، وإذا (بالسجانة) .. أقصد عاملة النظافة تدفعه قائلة ..

<< إنت بتعمل إيه يا أستاذ ! .. الباب بيتفتح كده هو >> ..

وفتحت الباب بعصبية لتتقدمنا حاملة الملاءات النظيفة اللازمة لفرش الأسرة الأربعة .. فى حين توجهت إلينا أنظار الشباب المقيمين فى الغرفة تتفحصنا بنظرة مريبة .. تماما كتلك النظرة التى يتلقاها السجين المستجد فور دخوله الزنزانة للمرة الأولى له ، حتى أننى شعرت بأن أحدهم ربما يتوجه إلي فور مغادرة (السجانة) قائلا .. (إب أو أهرش) .. أو حتى ربما يقول .. (إقلع) .. ولكن الله سلم ولم يحدث شئ من هذا ..

فوضعنا أمتعتنا وبدأنا نهيئ أنفسنا للإسترخاء والنوم ..

وإذا بأحد الشباب يجلس على سريره ، وفى يده كتاب قد أخرجه لتوه من حقيبته ، فأخذ يقرأ بصوت جهورى مسموع للجميع .. لقد كان يقرأ ويدندن بما يشبه الترانيم المسيحية .. وعلى الفور طالبه أحد الشباب بالتوقف عن هذا ..

إلا أنه أبى إلا أن يكمل قراءته .. فإزدادت حدة المطالبة .. وإزداد أيضا عدد المطالبين .. بينما الفتى مستمر فى قراءته غير آبه للتوعدات والتهديدات الموجهة إليه .. فاندفع الشباب فى غيظ وقاموا بالإعتداء المهين عليه بالركل والصفع محاولين إخراسه .. بينما ظل الفتى مستمرا فى قراءته أثناء الإعتداء عليه ، ليذكرنى حينها بابن مسعود حين جهر بالقرآن لأول مرة بمكة ..

فإسترهبنا الموقف وإندفعنا مسرعين أنا وأصدقائى للحول بين الشباب الثائر المعتدى وبين الشاب المسيحى المسحول ، وبينما أصدقائى منهمكين فى محاولة صد

المعتدين وتهدئتهم ، توجهت أنا بدورى إلى الفتى مطالبا إياه أن يتوقف لتتوقف كل هذه الفوضى .. فأجابنى قائلا .. << هذا دينى !!! >> ..

قلت .. << دينك لك .. إقرأه لنفسك وإخفض من صوتك فليس لنا رغبة في سماع ما تقرأ ! >> .. فقال متهكما .. << ولم أكن أرغب أنا الأخر فى سماع قرآنكم حين تنقلونه لنا فى صلواتكم بمكبرات صوت خارج مساجدكم إلى داخل بيوتنا وفى غرف نومنا ، بل وفى أحلامنا .. ولم أكن أرغب فى سماع قرآنكم حين يقوم السائقين بعرضه علينا عنوة أثناء المواصلات ، أوحين يجلس بجوارى أحدكم يدندن بتلاوته طيلة الطريق ليسمعنى إياه رغما عنى .. وحين أطالب باحترام خصوصيتى والتى هى من حقى فى المواصلات والأماكن العامة المخصصة للجميع على حد سواء أو حتى فى مسكنى ، أقابل بالزجر أواللامبالاة !! .. إذا فهذا هو دينى أجهر به كيفما شئت ووقتما شئت كما تفعلون ، ولا يحق لكم أن تتعرضوا لى وتمنعونى من ذلك >> .. وأخذ الفتى يكمل قراءته ..

حينها جن جنون القوم وأصروا على الفتك به .. فاحتدم الخلاف بيننا واحتمى الوطيس ولم يعد هناك مجالا للتفاهم والحوار .. فاستللنا أحزمتنا مضطرين لذلك ، ملوحين بها يمنة وشمالا ، لنقف حائلين دون النيل من الفتى ، ولنخوض معركة لاناقة لنا فيها ولا جمل ! ..

فلم يكن موقفنا هذا دفاعا عن دين بعينه ، ولا عن عرق بعينه ، ولا عن شخص الفتى فنحن لا نعرفه من الأساس ، ولكننا وجدنا أنفسنا أمام نموذج يجسد حالة

من حالات الإستضعاف والعنصرية ، فأبت كرامتنا ومروءتنا أن تسمح بوقوع مثل هذا بين أيدينا ونحن شهود عليه ..

أما عن الفتى ورغم سلامة منطقه ، ورغم وقوفى حائلا دون النيل منه ، إلا أننى فى هذه اللحظة كنت أبغضه أشد ما يكون البغض ، فقد ترائ لى بإصراره الغريب المبالغ فيه أنه شيطان إختلق فتنة أوحلنا فيها رغما عنا ، فلولم يكن الفتى بمفرده وسط هؤلاء المعتدين لما كان لنا التدخل فى الأمر من الأساس ..

وهنا كانت المفاجأة .. والتى كانت بمثابة الصفعة الموجعة لى وللأصدقاء ..

لقد إنفجر الجميع بالضحك !!! .. الشباب الثائر المعتدى ، وكذلك الفتى المسيحى المستضعف المسحول ، والذى تبين لنا أن اسمه (محمد) !!! ...

فكانت هذه مجرد مزحة .. وقد أوقع بنا هؤلاء الأوغاد ..

ولمعرفتى بطبائع أصدقائى توجهت على الفور إلى صديقى عمرو ، ذلك الصديق المتعجرف ، فدائما ما يسبق غضبه حلمه ، والذى هم بالفعل فى غيظ للنيل من الفتى المخادع ، لولا وقوفى أمامه باسما ومربتا على كتفه لإمتصاص غضبه

قائلا .. << هون عليك ياصديقى فإنها مجرد مزحة !! ..

لقد دافعنا عنه حين كان اسمه (جرجس أو مينا أو حنا) ..

وتريد الأن الفتك به بعدما تبين لنا أن اسمه (محمد) ؟! >> ..

وكانت هذه بمثابة التشريفة التى حظينا بها فى أول ليلة لنا فى بيت الشباب ..

****

٥- معركة الكرامة :

وبعد أن ساقنا القدر وأرغمنا على الإقامة فى بيت الشباب ، تعرفنا هناك على صديقين جدد من القاهرة أيضا ، لنصبح بذلك مجموعة صغيرة تمثل وفد القاهرة فى بيت الشباب ، وسط مجموعات كبيرة متنافرة من أبناء المحافظات ذات الطبائع المختلفة ..

وقد وصلت لتوى عائدا من أجازة طويلة ، حيث دخلت الغرفة الصغيرة المكونة من ستة أسرة والتى أصبحت مخصصة لنا بعد أن أبرمنا إتفاق مع الإدارة على ذلك ، لأجد أصدقائى يتسامرون فيما بينهم ، بينما كل منهم يجلس على سريره، ورغم عودتى من أجازة طويلة ، إلا أن الأصدقاء لم يستقبلوننى بالحفاوة المعهودة !! .. وهذا لأننى لا أحمل معى أى طعام أو مدد على غرار
(ديك ام عمرو) فقد إنقضت هذه العادة وولت منذ أن تركنا شقتنا الأنيقة وأقمنا فى بيت الشباب ، ولولا هذا لاستقبلنى هؤلاء الأوغاد زحفا على بطونهم ، بدلا عن

- << إنت جيت يابوذ الإخص ، كنا لسة فى سيرتك >> ..

فكان هذا بالطبع صديقى (عمرو) ، ذلك الصديق المتعجرف الوقح ، والذى يشبه فى تصرفاته وطباعه البهائم ، فهو كثير الرفث والركل ، ولكنه ومع كل هذا

يملك قلبا نقيا صادقا لايعرف التصنع ، وهذه ميزة ربما أفقدها أنا وكذلك بقية الأصدقاء ..

<< والله ياأخى يارتنا كنا جبنا سيرة ربع جنيه مخروم كان أفيد >> ..-

أما هذا فكان صديقى (مصطفى) والذى يشبه إلى حد التطابق ..

(فؤاد المهندس) .. شكلا وموضوعا ..

- بينما هذا الفتى الوسيم المشغول بتصفيف شعره وعدل قصته فهو صديقى (أحمد) .. الملقب بـ (ساموزين) .. وهذا لشدة التشابه بينهما أيضا .. ولطالما أوردتنا قصته هذه فى المهالك ..

- وهذا الفتى الأسمر ذو الملامح الفلبينية ، والجسم المتناسق ، والوجه البشوش الضاحك .. فهو صديقنا الجديد (كريم)

- وهذا الشاب أبيض البشرة ، طويل القامة ، مفتول العضلات ، ذو الأصول التركية .. فهو صديقنا الجديد أيضا (خالد)

- وأما عنى فإن التواضع يحول بينى وبين أن أعرفكم بنفسى .. ولكن إن كان لابد من ذلك .. << فأنا هو الفتى واسع المنكبين ، شتن الكفين

(أبيض ، أكحل ، أفلج ، أبلج ، أدعج) .. وإلخ >> ...
وأظنكم لن تصدقوا هذا بالطبع ..

فقمت بوضع أغراضى وأخذت أهيئ نفسى لأريح جسدى من عناء الطريق ، فإن الطريق بين القاهرة وبورسعيد شاق وطويل كما تعلمون ، وأثناء قيامى بذلك ، تفاجأنا بقيام أحدهم بدفع باب الغرفة بقوة وعنف ! ..

ليدخل علينا عدد لا بأس به من الشباب حاملى الأحزمة والهراوات الغليظة والتى لا أعلم حقا كيف يكون لطلاب ، فى وقت إمتحانات ، ويقيمون فى بيت الشباب أن يتحصلوا على مثل هذه الأشياء أو يحملوها فى حقائبهم ، ولكنهم أبناء المحافظات فلا عجب إذا فى ذلك ! .. فأخذ الأوباش ينتشرون فى الغرفة كما الجراد ، وكان هدفهم الأساسى على ما تبين لى هو الترهيب والإهانة ..
فنظرت إلى أصدقائى لأجد كل منهم يجلس فى مكانه متحجرا كأنه تمثال !!! ..
وكأن المفاجأة ورهبة الموقف قد شلت حركتهم وتفكيرهم تماما !!! ..
وهنا إتخذت قرارا سريعا .. حيث إفترشت سريرى ، والتحفت غطائى ، وأعطيت الجميع ظهرى وكأن الأمر لا يعنينى بالمرة ..

لا تتسرعوا فى النيل منى ، فأنا ومنذ الصغر أجيد قراءة الأحداث ووضع الخطط والإستراتيجيات كما تعلمون ، ولو كنت أرى أن الوضع يحتمل غير ذلك لفعلت

حينها تقدم نحوى أحد الأوباش ليجلس على سريرى ويرفع عنى غطائى ، وبلهجة عامية غير ودودة قال آمرا .. << محدش هينام النهاردة >> ..

فنظرت إليه ببرود أعصاب ولا مبالاة ودون أن أغير من وضعيتى تحدثت قائلا .. << أنا لا أعرف أتمزح معى أم تتكلم بجدية ؟ .. وفى الواقع لا أريد أن أعرف .. ولكن ما أريدك أن تعرفه ، أننى وصلت للتو من سفرى وأحتاج للنوم ، وأنه من الأفضل لى ولك أن تبتعد عن سريرى الأن وتتركنى لأنام >> ..

والغريب فى الأمر أن هذا الوغد قد قام عنى بالفعل وتركنى وشأنى ! ..

ولا أعلم حقا أيعود هذا لدعوة أمى لى الليلة ؟ .. أم لتلك النظرة المخيفة التى طالما أخبرنى الأصدقاء عنها ، فكان الجميع يتحاشى النظر إلى عينى عند الغضب ؟! وهذا ما قصدت إستغلاله حينها ولأول مرة ..

إستغرق الأمر بضع دقائق قضيتها وأنا مستلق على سريرى متدثرا بغطائى ، أستمع لسيل الإهانات التى يتعرض لها الأصدقاء دون أن يحرك أحدهم ساكنا ! وحين إنتهى الأوباش وغادروا الغرفة ، نهضت منتفضا عن سريرى ..

لأراهم جالسين جلستهم لم تتغير ، وأنظارهم لا ترتفع عن الأرض ، ووجوههم محتقنة بالدماء ، وكأنها توشك على الإنفجار غيظا وغضبا ، فتحدثت إليهم قائلا .. << لا أريد معرفة السبب وراء ماحدث .. فكل ما أريده الأن هو تغيير هذا الوضع المهين حالا >> .. وهنا إرتفعت أنظار الجميع نحوى وكأنه كان لا

ينقصهم سوى الحافز الذى يخرجهم من حالة التصلب التى سيطرت عليهم وشلت حركتهم وإرادتهم .. فأردفت قائلا .. << هم الأن مشغولين بالتفاخر والإعجاب بأنفسهم ولا يتوقعون منا ردة فعل ، وما سنفعله الأن هو مباغتتهم وإقتحام الغرفة عليهم كما فعلوا معنا ، ولكننا لم نقتحمها للتحاور وجذب أطراف الحديث معهم كما فعلوا ، بل للإشتباك معهم ودون رحمة ، والأمر يجب أن يحدث سريعا دون أن نعطيهم فرصة ليتداركوا الموقف حتى لا ينقلب الأمر علينا ، فهم الأكثر عددا وعدة ، فيجب معرفة ما سنقوم به بالضبط سلفا قبل الدخول عليهم أولا هم لديهم فتوة مفتول العضلات وهو من يحركهم ، فمن منا يتولى أمره ولا يفلته ويترك أمر البقية للآخرين ؟ >> ..

وعلى الفور وبدون تردد وفى غيظ شديد قال صديقنا طويل القامة مفتول العضلات (خالد) .. << دعوا أمره لى >> .. فقلت له ..

<< عظيم ستكون أنت فى المقدمة لتنطلق نحوه وإترك لنا أمر البقية >> ..

وقمت باستلال حزامى وكذلك فعل بقية الأصدقاء .. فبالنسبة لطلبة جامعيين مغتربين عاديين ويقيمون فى بيت شباب هذا كل ما يمكننا التحصل عليه ..

وبلهجة حماسية حازمة خطبت فيهم قائلا ..

<< ليتجه كل منا فور دخوله الغرفة فى إتجاه مختلف ضاربا بلا رحمة ولا تعقل ، وليكن شعاره حين ذاك .. (لانجوت إذ نجى) ..

وحذارى يا أصدقاء فبمجرد أن يبدء العراك (فلا تراجع ولا استسلام) ..

حتى ننتهى من الأمر أو نهلك دونه .. وحين يحضر باقى النزلاء لفض العراك لا تستجيبوا لهم سريعا حتى تخور قواكم ويغلبوكم ..

وما أن تمكنوا منكم ونجحوا فى السيطرة عليكم وفض العراك .. فلا تكفون حينها أيضا عن إرشاقهم بالسباب والوعيد >> ..

وما أن أنهيت كلامى إلا وبصديقى (خالد) ذلك الفتى طويل القامة مفتول العضلات ، وبسرعة إستجابة أربكتنى أنا شخصيا ، ينطلق مسرعا ناحية باب الغرفة ويتبعه بقية الأصدقاء دون تردد ولا هوادة ، حتى وجدت نفسى فجأة فى المؤخرة أهرول للحاق بهم ، فكدت أن أصرخ فيهم قائلا ..

<< إنتظرونى أيها الأوغاد فأنا من وضعت هذه الخطة >> ..

ربما كانت مرارة الإنكسار قد قتلت الرهبة فى قلوب الأصدقاء وأعمت بصائرهم حينها ، فلم يعودوا يرون أمامهم إلا الثأر لكرامتهم ، ولو كلفهم الأمر حياتهم ..

فها هو صديقنا (خالد) يركل باب الغرفة بقدمه لينطلق ونحن فى إثره كسهام ملأت قلوب الأوباش المعتدين رعبا وفزعا ، فأربكت صفوفهم وشلت حركتهم وعمت الفوضى أرجاء المكان ، وسرعان ما تعالى الصراخ والسباب والضجيج ، وسرعان ما إنقلب النزل رأسا على عقب ..

وها هم الأصدقاء الذين كانت أعينهم منذ قليل لا تفارق الأرض خجلا وغيظا أراهم الأن جبابرة طغاة يلتف حول كل منهم الثلاث أو الأربع فتيان محاولين تهدأتهم واسترضائهم !!! ..

وهنا إنتبهت لأمرغريب ! .. لماذا لا يمسك بى أحدهم كباقى الزملاء محاولا منعى من فعل شئ ما ؟! .. فنظرت للجميع فى غيظ صارخا فى نفسى ..
<< فاليمسك بى أحدكم أيها الأوغاد فأنا معهم !!! .. وأنا من وضع تلك الخطة اللعينة >> .. ثم دفعت بنفسى وسط الزحام مجاهدا ومجتهدا عله يكتشفنى أحدهم ويمسك بى ! .. فأنا لدى حصيلة لا بأس بها من السباب واللعنات قد أفنيت عمرا فى تحصيلها ، ولم تسنح لى الفرصة لإستخدامها حتى الأن ..
فإن لم أطلقها الأن فمتى يكون ذلك ؟! .. فاليساعدنى أحدكم أيها الأندال ..

وسرعان ما حضر المسؤلين عن النزل وتم طردنا ، وطلبوا منا سرعة المغادرة حتى لا يقوموا بإبلاغ الشرطة ، فانصرف أصدقائى لإحضار أغراضهم ، بينما ظللت أنا واقفا أندب حظى على فوات هذه الفرصة النادر حدوثها ، وإذا بأحد المسؤولين يتوجه نحوى قائلا ..

- << أنت .. لماذا لا تزال واقفا عندك ؟ >> ..

- << أنا ؟.. أنا لست معهم ! >> ..

- << أتمزح معى ؟ .. هيا ألحق بأصدقائك حالا >> ..

فذهبت بدورى وأنا أتحدث فى نفسى غاضبا ..

<< الأن فقط هم أصدقائى وأنا معهم ؟! .. تبا لكم جميا أيها الأوغاد !!! >> ..

خرجنا نتسكع فى طرقات بورسعيد والتى خلت تماما من المارة ..

لا نعلم إلى أين نذهب ؟ .. ومع هذا فكانت تغمرنا السعادة والبهجة ونشوة الإنتصار .. فقال صديقنا (مصطفى) مازحا ..

- << أتعلمون يا أصدقاء أظننا قد أخطأنا عندما تخلصنا من أخوكم (حسن) .. فأظنه لو كان معنا إلى الأن لما تجرأ علينا هؤلاء الأوغاد من الأساس >> ..

فرد عليه (عمرو) مستنكرا ..

- << (وديك أمى) ! .. هل نسيته يامصطفى ؟! .. فلو كان هذا الديك لأمك أنت لما تفوهت بهذا الهراء >> ..

فتعالت ضحكات الأصدقاء القدامى بينما تسائل الرفاق الجدد ..

<< ومن يكون (حسن) هذا ؟ >> .. -

- << إنه من أكل (ديك أم عمرو) >> ..

هكذا أجابهم (ساموزين) وهو ينظر ناحية (عمرو) هامزا لامزا ..

ونظر " كريم" نحوى متسائلا ..

- << وأنت مابك .. لما يعتريك الحزن والأسى ؟ >> ..

- << إن كل منكم أخذ فرصته وأطلق لنفسه العنان فى إخرج كل ما فى جعبته من سباب وقاظورات ، ماعدا أنا ، فلم أظفر بهذه الفرصة ولم أطلق سبة واحدة ! بينما أنا من وضعت تلك الخطة !!.. وأنا من أمليت عليكم بهذه التعليمات !!

ألا يعد هذا ظلما >> ..

فانفجر الجميع بالضحك .. وربت "كريم" على تكفى مواسيا حيث قال ..

<< هون عليك ياصديقى ، فربما أبا القدر إلا أن يحفظ لك عذريتك >> .. -

****